عرض سريع للأخطاء والدرس المستفاد من هزيمة 67

بقلم: زكى منصور
الأخبار 31-10-1976

إن حسابات المعارك وتقييمها لا يقاس بحجم ما يستخدم فيها من حشود ولا مدى ما تسفر عنه من خسائر فى الأفراد والعتاد ولكن يقاس بما تؤدى إليه من نتائج وما تحققه من أهداف ، وهذه حقيقة تاريخية لا شك فيها وبالنسبة لجميع المعارك التى كانت بمثابة نقطة تحول فى التاريخ..

فى يونيو 1967 حاربت القوات المسلحة المصرية معركة مع إسرائيل على أرض سيناء تعتبر الجولة الثالثة فى تاريخ الصراع العسكرى بين مصر وإسرائيل منذ أن زرعت هذه الأخيرة قسرا فى قلب الوطن العربى فى 15 مايو 1948 .

وقد تركت هذه المعركة آثارا بعيدة المدى لا فى القوات المسلحة والقيادة العسكرية المصرية فحسب بل فى القيادة السياسية أيضا والشعب بأسره . بجميع طوائفه وامتد ذلك أيضا إلى الشعب العربى كله .

ولم تكن هذه الآثار البعيدة فى جملتها إلا جروحا عميقة أصابت نفس وشعور كل مواطن مصر وعربى ودفعت بالأنهيار المادى والنفسى فى كل مكان.

ولكن هل كانت هذه المعركة برغم قسوة كل أحزانها وآلامها شرا كلها !!

وهل إذا تم تقييمها بحساب المعارك ونتائجها ، ورغم كل الظلال السوداء التى تكتنفها لم تتسلل إلينا منها أشعة ضوء ألقت لنا بالحقيقة والدرس المستفاد!!

رغم . . كل التوقعات

وتقودنا الإجابة على ذلك إلى العودة إلى الوراء فى شهر مايو 1967 حينما تحركت قوات ووحدات ضخمة من قواتنا المسلحة إلى سيناء فى شبه مظاهرة عسكرية مدوية على أثر تواتر معلومات عن حشود إسرائيلية على الحدود السورية .

ورغم توقع القيادة السياسية احتمال أخذ العدو بزمام المبادرة الهجومية وانتظار قيامه بالضربة الأولى فقد حدث هذا التوقع فعلا وتعرضت قواتنا المسلحة لكارثة محققة صباح 5 يونيو 1967 . بدأت بهجوم

جوى إسرائيلى شامل على مطاراتنا وطائراتنا الرابضة بها وانتهت بانسحاب القوات المصرية فى شبه فوضى عبر سيناء كلها إلى الدلتا خلال بضعة أيام .

ولا شك أن ما حدث لم يكن طبيعيا فى تاريخ الحروب . ولا شك ايضا أنه كانت هناك أخطاء كبرى أدت إلى ذلك .

فبالرغم من قيام القيادة السياسية بتحذير القيادة العسكرية من التوقعات المستقبلية لنوايا إسرائيل وعملياتها ، بل تحديدها تقريبا لتوقيتاتها المحتملة ، وبالرغم من تحريك القيادة العسكرية لحشود ضخمة إلى سيناء فأن الضربة الإسرائيلية كانت مفاجأة تامة حتى أن القيادة العسكرية فقدت توازنها وأصدرت قراراها السريع بانسحاب القوات الضخمة دون أى انتظار لقتال حقيقى بينها وبين العدو . وبدون حتى أية ترتيبات أو توقيتات للانسحاب على وثبات إلى مواقع متوسطة أو القيام بقتال تعطيلى وذلك على فرض استحالة الدفاع أو عدم نجاحه . أى أنه كان يتحتم أولا إجراء معركة دفاعية يتلوها انسحاب فى حالة زيادة ضغط العدو وذلك إلى مواقع أفضل يمكن عندها ايقاف هجوم العدو وتثبيته ثم القيام بالهجوم المضاد وذلك كله طبقا لتقديرات وحسابات ونظريات معروفة فى فن القتال .

لو تم التلاحم

إلا أن شيئا من ذلك كله لم يتم وأدى الانسحاب إلى تمزيق وتشتيت القوات المسلحة رغم وجود عديد من الوحدات والتشكيلات جيدة التسليح والتدريب والأعداد وقادرة على مواجهة العدو بكل قوة ولكن لم يتهيأ لها أية فرصة للقتال.

ولو تم أى تلاحم قريب بينها وبين القوات الإسرائيلية لانعدام تأثير السلاح الجوى الإسرائيلى فى المعركة البرية وهو ما كان يخشى منه بعد تدمير سلاحنا الجوى بالمفاجأة التى حققتها الضربة الجوية الأولى التى سددها العدو ولتغير الموقف كلية إلى صورة أخرى .

.. وبالإستعراض السريع لتلك الأخطاء على الجانب المصرى والتى أدت إلى الكارثة فأنه يمكن تلخيصها بصفة عامة فى الأتى :-

1 ــ قيام القيادة السياسية بأخطار القيادة العسكرية بتوقعاتها بالنسبة لهجوم العدو المحتمل . ثم انتهاء دورها عند هذا الحد وكأن الأمر لا يعنيها ولا يتعلق بمصير البلد بصفة عامة وكان الواجب مشاركة القيادة السياسية القيادة العسكرية فى جميع تقديرات الموقف قبل وخلال المعركة وتصور الخطوات الواجب اتخاذها بما فى ذلك أفعال العدو وردود الفعل وإلا ففيم كان تحرك القوات إلى سيناء !!!

دفاع مرن متحرك

2 ــ قصور القيادة العسكرية وعجزها عن اتخاذ الخطوات اللازمة لمواجهة الموقف ، وحتى على فرض توقع قيام العدو بالضربة الأولى فكان الواجب يقتضى اتخاذ مواقع دفاعية قوية أو القيام بأى نوع من أنواع الدفاع المرن المتحرك يمكن به مواجهة ضربة العدو وايقاف هجومه ثم القيام بحركات الالتفاف والتطويق كما هو معروف فى تكتيكات الحرب الصحراوية .

3 ــ عجز القيادة العسكرية عن التماسك وأصدار تعليمات منسقة بالنسبة لترتيبات وتوقيتات الانسحاب وذلك مع فرض فشل الدفاع مما قلب الانسحاب إلى اندحار كامل للقوات .

4 ــ عجز القيادة السياسية عن التدخل فى الموقف ، وقد كان فى استطاعتها أن تأمر بإيقاف الانسحاب والثبات فى المواقع للنهاية و (لأخر طلقة وأخر رجل) . ولو تم ذلك لتغير الموقف كلية بالنسبة للعدو وللمعركة كلها حيث كانت تعليمات القيادة الإسرائيلية لقواتها البرية تقضى بالانسحاب والعودة ثانية إلى داخل الحدود الإسرائيلية لتأمين إسرائيل نفسها وذلك إذا لم تتوصل إلى نصر برى حاسم خلال 48 ساعة .

5 ــ عدم التعاون وفقدان الاتصال والتنسيق والترابط بين كل من القيادتين السياسية والعسكرية لتحقيق الهدف المشترك وهو ما أمكن تلافيه بعد ذلك بنجاح بعد ست سنوات فى معركة العبور العظيم فى 6 أكتوبر 1973 أذ استطاع الرئيس السادات بنظرته الثاقبة للأمور ووزنه السليم للمواقف أن يحقق قمة التعاون التام بين القيادتين بل أعطى كقيادة سياسية القيادة العسكرية أكثر مما كانت تنتظره فى ظروف عادية .

6 ــ عدم وضوح الهدف وفقدان مبدأ المحافظة على الغرض فعلى فرض أن تحرك القوات المصرية إلى سيناء كان لتحقيق هدف معين . فهو لا يخرج عن أحد احتمالين .

أ ــ تحرك القوات إلى سيناء كمظاهرة عسكرية وهى مغامرة غير معترف بها فى الفن العسكرى وحتى على فرض قبولها سياسيا فأنها حتى تثمر ينبغى أن تخفى وراءها قوة حقيقة . ولم يكن حريا بها أن تكون القوات على هذا القدر من الضخامة التى تحركت بها إلى سيناء .

ب ــ تحرك القوات إلى سيناء بغرض القيام بعمليات عسكرية معروفة ومحددة كالدفاع أو الهجوم . وكلتا العمليتين لم يعد لهما أى أعداد كاف ، فلا القوات اتخذت مواقع دفاعية قوية أو قامت بدفاع متحرك يمكن به صد العدو وتطويقه ولا هى قامت بالهجوم من قواعد هجومية وطيدة يمكن الارتكاز عليها فى حالة فشل الهجوم .

وقد . . كان

بينما نجد أن الغرض والمحافظة عليه كمبدأ من مبادئ الحرب الأساسية المعروفة كان متبعا تماما فى معركة أكتوبر 1973 ، فقد كان الهدف العسكرى هو العبور واحتلال مواقع تأمينية على الضفة الشرقية

للقتال بعد تدمير مواقع خط بارليف وذلك لخدمة الهدف السياسى بكسر الجمود الذى أحاط بالموقف السياسى وتحريك القضية كلها وإجبار الرأى العام الدولى على التحرك .. وقد كان .. وظللت المحافظة على هذا الغرض واضحة فيما اتخذ بعد ذلك من خطوات عسكرية أو سياسية .

وأخيرا . . وبالرغم مما انتاب معركة 1967 على الجانب المصرى من أخطاء فادحة فأننا ينبغى إلا ننسى حقيقتين أساسيتين هما الأساس لتقييم هذه المعركة :

الحقيقة الأولى : هى أن هذه المعركة لم تكن محكا حقيقيا لاختبار كفاءة المقاتل المصرى وأثبات جوهره العسكرى الأصيل وذلك عندما تتهيأ له القيادة السليمة وهذا ما كان وأثبته الجندى المصرى عن جدارة فى مواجهة الجندى الإسرائيلى ، فيما بعد .

الحقيقة الثانية : أن جميع هذه الأخطاء لم تكن عبثا فقد خرجنا منها بدروس مستفادة جعلت هذه الحرب نقطة تحول حقيقية فى تفكيرنا السياسى والعسكرى ، قلبت موازين النصر إلى جانبنا بعد ذلك فى معركة أكتوبر المجيدة .

وعبرنا الهزيمة حينما أعطت كل من القيادتين السياسية والعسكرية بفكر وحكمة الرئيس السادات وشجاعة القادة والرجال مثالا يحتذى فى مواجهتنا مع العدو التقليدى فى أية جولات قادمة .

www.anwarsadat.org